أمام عابرة :

العلم والحياة

تأليف الدكتور مشرفة بك

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

يتقمص الأستاذ الجليل الدكتور مشرفة فى معظم كتبه عدة شخصيات أهمها العالم والمدرس والأديب معاً ، وهذه ميزة قلما تتوافر لعالم غيره وهى فى هذا الكتاب بارزة جداً ، والظاهر أن ذلك راجع إلى أنه يتمشى مع المنهاج الموضوع لسلسلة « اقرأ » المقصود به صلاحيتها لأوساط الناس على اختلاف ثقافاتهم . فأولا :

شخصية العالم :

وتبدو واضحة لدرجة المحاباة ، محاباة العلم والعلماء . يقول : « إن العلماء أعرف الناس بالخير وأقربهم إلى الفضيلة » ويقول : « من الخطأ الفاحش أن يقال إن العلماء يقفون عند المظاهر المادية للعالم، فالعلماء إذ يبحثون عن الحقيقة يسمون بعقولهم إلى المنتهى» ولعل الدكتور يريد أن يصف العلماء كما يجب أن يكونوا أو يظن أنهم جميعاً على شاكلته أطهار أبرار ؛ وإلا فأهوال الحروب الحديثة لا تؤيد القول الأول ، وبعض الباحثين لا يؤيدون القول الثانى بل يقولون بمثل ما يقول به (تشارلتن) فى كتابه (فنون الأدب) : « إذا أردنا الدقة ألفينا العلم بعيداً كل البعد عن الحياة العملية ، إذ العلم لا ينظر إلى المعرفة من وجهها النافع المفيد فهو لا يعنيه إلا المشكلات المجردة والمبادىء العامة . العلم مجرد فكر يقوم به العالم بغض النظر عما إذا كان يفيد أو لا يفيد » . وثانياً :

شخصية المدرس :

وطبيعى أن يكون الدكتور الفاضل مدرساً ناجحاً فى معظم كتابه لأنه متصل الوقت والجهد بالتدريس مشرفا وأستاذاً ومحاضراً . والذى لا شك فيه أنه تطبع لهذا على أن يتصور أن الأذهان التى يحادثها أذهان طلاب فى حاجة دائمة إلى شىء من الإعادة والتكرار والتشويق والمبالغة أحياناً كلما اقتضت الظروف . غير أن هذا التطبع قد اضطره هنا إلى بعض الإطالة ، وصحيح أن الإطالة من مثله مرغوبة محببة لأنها تحمل فى غضونها معلومات مفيدة أو طريفة غالباً إلا أن حجم هذا الكتاب لا يحتملها نسبياً . فمثلا فى القسم الأول لكى يصل إلى تفهيمنا أن العلم يخدم السياسة يبدأ بأقوال شتى لمحمد عبده وأرسطوطاليس وبلاتون وسقراط، وإلى هنا يكون قد استنفد سبع صفحات من تسع صفحات مخصصة للقسم كله. وهكذا فى سائر الأقسام تقريباً . كذلك يطيل فى شرح بديهيات . فقد عقد قسما كاملا عن (العلم والمال) يدور حول تعريف أصحاب الأموال والعقارات أنهم لو استخدموا الطرق العلمية فى إدارة أموالهم وتنظيم عقاراتهم لزاد إنتاجهم .

وهناك سمة أخرى من سماته كمدرس نلمسها حين يدلى ببعض آرائه فى صيغة الأحكام المؤكدة التى لا تقبل المراجعة أو التعقيب من ذلك قوله : « السياسة أرفع الفنون البشرية منزلة وأعلاها قدراً » ! ! لماذا يا سيدى ؟ يقول : « لأن كل فن يرمى إلى تحقيق فائدة لنفر من الناس ، أما فن السياسة فغرضه نفع الناس جميعاً » ! ! وأظن أنه ليس هناك ما يمنع أى إنسان من أن يرفع من شأن أى فن يشاء . غير أن السائغ المحتمل أن الفنون كلها رفيعة المنزلة بلا تفاضل ، كما أنه ينبغى أن ترمى كلها إلى نفع الناس جميعاً ، قد يجوز التفاوت ولكن هل يجوز أن يعزى — إن وجد — إلى الفائدة من حيث كثرتها أو عمومها ؟ ! وثالثاً :

شخصية الأديب :

وما بنا من حاجة إلى وصف الدكتور بالأديب فإن كل إنتاجه يمت إلى الأدب الممتاز بصلة وثيقة تفسح له بين أساطين

الأدب مكانا محترماً . غير أن معظم العلماء الأفاضل حين يكتبون يميلون إلى زخرفة أسلوبهم بما تدلهم عليه (قواعد البلاغة) ، وهذا الأسلوب متى هذا النحو هو الذى يتم على أنهم علماء

لذلك تجد الدكتور تارة يصطنع « التضمين » اصطناعا يكاد يكون مقصوداً لذاته ، فيقول مثلا وهو يستحث الشرق لينهض كالغرب : « فإما خففنا معهم وإما تخاذلنا فقمدنا فرمونا بحجارة من سجيل تُجَمِّلنا كعصف مأكول » ، ويقول وهو يسرد حقيقة علمية معروفة : « الجسم إذا كان فى موضع مرتفع فإن ذلك يكسبه مقدرة خاصة على اكتساب الحركة فيكون كجلمود صخر حطه السيل من عل » .

وتجده تارة أخرى يستشهد بالشعر بغير ضرورة ملحة : (العلم يرفع بيتاً لا عماد له) (على قدر أهل العزم تأتى العزائم)

بل يستشهد بشعر صوفى :

دواؤك فيك وما تشعر ودواؤك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ولعل هذا كله للتنويع المقصود به الترفيه عن القارىء

غير أن الحق أنه بهذه الشخصيات المتنوعة قد استطاع أن يجعل من كتابه هذا سجلا شاملا لحسنات يرجع إليها المستفيد لمحض الاستفادة والمستفيد لغرض الاستزادة علماً وعملا على السواء؛ فمن حسناته أنه يصحح أخطاء شائعة بين الجمهور وأخرى بين الأوربيين وثالثة بين العلماء . إذ من الجمهور من يعتقد أن الدين يؤخر العلم والكتابُ ينفى ذلك بالحجة الدامغة والواقع والمنطق الاستقرائى . ومن الأوربيين من يعتقد أنهم أصحاب الفضل على العلم والكتابُ يبدههم بأن العلم إنما ازدهر قبل ميلاد الفكر الأوربى بمئات السنين . ومن العلماء من يعتقد أن (بيكون) هو الذى استحدث (المنهاج) والكتابُ يدلهم على أن المصريين والبابليين عرفوه من قديم . وهكذا . كتاب عظيم بمادته الغزيرة وحقائقه المدعمة بالأرقام حيثما كان للأرقام مجال . والمؤلف فطن غاية الفطنة إذ يعقب عليها بما يعود بالنفع على وطنه وعلى العالم جميعاً . فحينما يذكر مقدار الثروة المعدنية فى مصر يهيب بشباب العلم أن يفكر فى استخدامها وتنميتها ... وحين يقرر أن الجزء المنزرع من الوجه البحرى فقط (٢٢٠٠ كيلومتر) يمكن أن يسع سكان الأرض طرا (٢٠٠٠ مليون نسمة) بحيث يخص كل فرد حوالى عشرة أمتار يستطرد فيشير إشارة خفيفة عنيفة إلى أن هذا النصيب الفردى الضئيل لا يحصل عليه كثير من المصريين ، ثم يستطرد فينبه الأثرياء إلى أن حريتهم فى أموالهم يجب أن تخضع للشعور بالمسؤولية وتقدير الواجب . وهكذا .

ولو أن فى الكتاب أيضاً آراء سلفية تردد أقوال سقراط وأفلاطون وجلوكون عن الجمهورية والطيموقراطية والأوليجراكية وهى — بالمعانى التى قصدها — أسماء تكاد تكون معدومة المسميات بل معدومة الوجود والأثر فى عام ١٩٤٦ الذى نعيش فيه ، ويحسن أن نعيش له وللأعوام المقبلة إلا أن الكتاب فى مجموعه كنز ثمين يزيد من قيمته أنه متجه كله نحو الخير والانسانية .

عبد الفتاح البارودى

جامعة فؤاد الأول

كلية الآداب

ترغب كلية الآداب فى شغل كرسى الفلسفة الخالى بها . وتقدم الطلبات باسم حضرة صاحب العزة عميد كلية الآداب فى ميعاد لا يتجاوز أول نوفمبر سنة ١٩٤٦ . مع بيان المؤهلات الدراسية الحاصل عليها المرشح والمؤلفات والابحاث العلمية التى قام بنشرها . ويكون التعيين بعقد لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات وبماهية لا تتجاوز ٩٦٠ جنيه فى السنة . ٦٢٠٣